صياغة آلية لموشح "" في هوى شمس الملاح "

د. عبد الحميد حمام[١] (الأردن)

يتكون الموشح الأندلسي من خمسة أبيات كلُّ بيتٍ يتكوَّنُ من دورٍ وقفل، ويتكون كلٌّ منهما من عِدّة أجزاء (٢ - ٤)بشكل عام، وكلُّ جزءٍ يتكوَّنُ من غصنين إلى أربعة أيضا؛ وبشكلٍ عام تختلِفُ قوافي الأدوار بينما تلتزم الأقفال بنفس القوافي، ولهذا دلالة على أن الأدوار تأخذُ أحانا مختلفة بينما تأخذُ الأقفال اللحنَ نفسه.. أما الموشح المشرقيّ فيتكون من دورين وخانة (قفل)ويأخذُ الدوران نفس اللحن بينما يختلفُ لحنُ الخانة عادةً

لقد نظم الحاج أحمد بن عبد الرحمن المعروف ب "المُسَلِّم" - وهو شاعرٌ صوفيٌّ النَّزعة رِفاعيٌّ الطريقة، أغلبُ شعره في المديح المرفوع للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وللتصوف؛ توفّيَ في الموصل سنة ١١٧٥ هجرية. له عدّة مؤلفاتٍ منها "رسالة: "الدُّرّ النّقي في علم الموسيقى" التي ترجمها عن رسالة عبد المؤمن البلخي الفارسية اللغة- موشح شمس الملاح الذي نحنُ بصددِهِ على نمط الموشحات الأندلسية من خمسة أبيات دون مطلع، فهو موشح أقرع.

لقد قام الدكتور عبد الحميد حمام بتلحينهِ حسب رُؤياهُ عن الموشحات الأندلسية؛ أي تأخذُ الأدوارُ ألاناً مختلفة، بينما تلتزمُ الأقفال باللحن نفسه؛ وكانت هذه النسخة الأولى من تلحين هذا الموشح التي اضطُرَّ لتعديلها عدّة مرات كانت الصيغة التي بين أيديكم آخرها؛ وهذه الصيغة تسنحُ لعازف بيانو أن يرافق الغناء بدلاً عن الآلات الوترية من خماسي وتري في النسخة السابقة. وهاتان النسختان جاءتا مشابهتان للموشح المشرقي؛ إذ انهما أعادا اللحن نفسه واختلفا في الثالثة، فقد حاول المؤلف قدر الإمكان التوفيق ما بين طريقة تلحين الموشح الأندلسي وبين الموشح المشرقي. فكما وصلنا عن ابن سناء المُلك، في كتابه " دار الطراز " من أن الموشح كان مبنيٌّ على تأليف الأُرغُنّ، والغناء على غير الأرغنٍّ مستعار وعلى سواه مجاز؛ وتأليف الأُرغن حسب ما فهمناه لا يُقصدُ به "آلة" الأرغن كما يؤكّدُ ابن سناء الملك حين يقول: " واعذر أخاك فإنّه لم يولد بالأندلس ولا نشأ بالمغرب ولا سكن إشبيلية ولا أرسى في مُرسية ولا عبَرَ على مكناسة ولا سمع الأرغن..."؛ ويقول في موضع آخر: " فإن المُغنّي يحتاج إلى أن يغيّر شدَّ الأوتار عند خروجه من القفل إلى البيت، وعند خروجه من من البيت إلى القفل، وهذا مكانٌ ينبغي أن يُلحظ ويحفظ". وهذا التوضيح يشير إلى أنّ الآلات التي كانت تُرافقُ غناء الموشح الأندلسي وترية يُضطرُّ الى تعديل شدِّها عند الحاجة؛ كما يؤدي إلى القناعة أن المقصودِ بالأرغن هو تعدُّدُ الأصوات الذي أطلق الأوروبيّون عليه اسم الأرغانوم (Organum) ترجمةً للمصطلح الذي أضفاهُ ابن سينا عليه وهو "التنظيم" في الشفاء ؛ وأسماهُ الفارابي قبلَه

---

[١] مؤلّف وعالم في الموسيقى؛ وقد كتب العديد من الأعمال الموسيقيّة في مُختَلفِ المجموعات الغنائية والآلية التي تمّ أداؤها في حفلات موسيقية في الأردن وبعض الدول العربية والعالمية، كما كتب العديد من الأبحاث المنشورة في موسوعات ومجلاّتٍ محكّمة وأدبية في مواضيع موسيقيَّة عربية وعالمية، وله ثلاثة كتب منشورة (معارضة العروض، الموسيقى والأناشيد وطرائق تدريسِهما، والحياة الموسيقية الأردنية في ثمانين عاما).

"تركيبا". وكلمة أورغانوم من (Organizing)؛ ولعلَّ الكلمة وصلت ابن سناء الملك مع ما وصلَهُ من أشعار الموشحات التي ضمَّنَها كتابَه. لهذا السبب فقد أتى تلحين هذا الموشح متعدد الأصوات. كما التزم الملحِّنُ بشروط المسابقة من الآلات المسموح باستخدامها، وهي التخت العربي والفيولين والتشيللو والكونترباص؛ وبطول المدّة الزمنية، ممّا تسبّب باختصار عدد الأبيات إلى اثنين فقط من أبيات الموشح الخمسة وهما الأول والثالث، وقد استُخدِم نصُّ البيت الأوّل للخرجة؛ كما حاول الملحنُ أن يضفي على الأداء طريقة المنشدين الدينيين قدر الإمكان.

لقد آثرَ المؤلف ان يرافق الجزء الأول من الموشح بإيقاع الدّكر عند المتصوِّفة الذي يُضرب بالبندير أو الطّار؛ بينما الجزء الثاني الذي يأخذ صفة الخرجة الأندلسيّة فأخذ إيقاعَ الرّقص الذي كانت الجناكي ترقص عليه وكذلك راقصات الحانات اليوم.

من النقاط المهمة والواجب الإشارة إليها هي، أن الخانة (حسب نظام الموشح المشرقي) قد تأتي مختلفة عن لحن الأدوار، أو تأتي مُماثلة له. أمّا الموشح الأندلسي فتأتي الخرجة : حسب قول ابن سناء الملك: " والشرطُ فيها أن تكون حجاجية من قِبَلِ السُّخف، قُزمانية من قبل اللحن، حارّة مُحرِقة، حادة منضجة، من ألفاظ العامّة ولغات الدّاصّة، والخرجة هي إبزارالموشح وملحه وسكّره ومِسكه وعنبره، وهي العاقبة، وينبغي أن تكون حميدة، والخاتمة بل السابقة وإن كانت الأخيرة، وقولي السابقة لِأنّها التي ينبغي أن يسبق الخاطر إليها ....". ولمّا أتى موشح المسلّم كلُّه بالفُصحى بقيت الوسيلة الوحيدة لدى المُلحّن أن يلجأ إلى عوامل موسيقية يضفيها على الخرجة / الخانة لتأخذ صبغة العاميّة في اللحن والإيقاع؛ وأضحت عنده راقصة كأنها في أعراس العامّة وأفراحها، وسيلحظ السامع ذلك بوضوح.

لقد اجتهد الملحنُ وحاول التوفيق ما بين ماضي الموشح العريق وحاضره الأصيل.

والله ولي التوفيق